مصلحة مشتركة

نصائح وألاعيب
للعمل المشترك

جنيفر إيڤانز
دانييل أوكونل
كريستال خوري
كارين ضومط

مفردات
Mophradat

«جس نبض» #٣
«مصلحة مشتركة: نصائح وألاعيب للعمل المشترك»
ملحق

تكليف وتحرير: كريستال خوري ومي أبو الدّهب
ترجمته إلى العربيّة ياسمين حاج
تدقيق لغوي بالعربيّة شرين يونس
تصميم غرافيكي سوار قريطم
تكليف ونشر «مفردات»

هذا الكتيب جزء من مشروع «أفعال مستقبليّة»
وهو مدعوم جزئيًا من قبل وزارة الخارجية الألمانية.

Auswärtiges Amt وزارة الخارجية

مفردات
شارع «لاباتوار» ٤
بروكسل، ١٠٠٠
بلجيكا

www.mophradat.org
© مفردات ٢٠٢٤

هكذا نعمل معًا

كارين ضومط

دوائر متقاطِعة

كيف تعرِّفين تجمُّعكِ؟ **سألني أحدهم**. هل تُعَدّ مجموعتك نسوية فقط لأنها تتألَّف من ثلاث نساء؟ **فخطر لي غرابة عدم تعريف ما نفعله إلا حينما يُطلَب منَّا ذلك**. كيف يمكننا تعريف «مجموعة في الكاميليا»؟ **سألتُ متعاونتَي نور عويضة وميرا عضوميبه في محادثتنا الخاصة**. قد أقول إننا صديقات، **كتبت نور. وأضافت** أنَّ مساحة التجمُّع عبارة عن مساحة نوضح فيها أفكارنا، ونجوِّد فيها مساراتنا الإبداعية، كـلٌّ وفق مجالها. قد أقول إننا نتوق إلى خلق نوع من الوحدة المادية في عالمٍ يتهاوى من حولنا، **كتبت ميرا. وأضافت أنَّ** تلاقينا والتفكير معًا وصُنع الأشياء معًا عبارة عن مسألة نجاة عاطفية وفكرية. **أما عنّي فقد شاركتهما رسمة، وكتبتُ:** تذكِّرني هذه الخربشة بقلم صديقي دانييل ك. بنا نحن: دوائر متطورة تدور الواحدة حول الأخرى، وتتقاطع بمختلف الطرق لتشكيل تركيبات جديدة. بالنسبة إليَّ تدل الخربشة على مختلف اللحظات التي نتلاقى فيها وسنتلاقى فيها في المستقبل. في التركيبة الأولى أنا الدائرة الخضراء في الوسط التي تُقاطِع كلًّا منكما على حدة... وهكذا كانت بدايتنا!

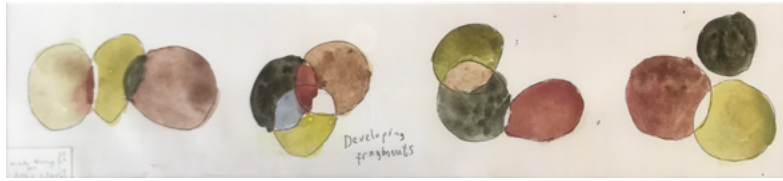

خربشة بقلم دانييل كوپفيربيرغ [نيسان/أبريل ٢٠٢٣، برلين].

بعد ذلك بقليلٍ، طلبت مني «مفردات» خوض محادثات مع التجمُّعات والمجموعات من العالم العربي أو فيه، التي تكوَّنت مؤخرًا، لمختلف الأسباب، وضمن مختلف الظروف. كمَنت الفكرة في إيجاد طريقة للتعبير عمَّا تضمَّنته هذه المجموعات من حديث عن الجماعيَّة. وأجرينا هذه المحادثات في شهريَ آذار/مارس، ونيسان/أبريل ٢٠٢٤.

رغم كل الصعاب

رجوعًا إلى المحاولات المستمرة لتدمير الشعب الفلسطيني، التي وصلت ذروة أهوالها مع حلول تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣، والهجمات الإسرائيلية اليومية على لبنان، لكن كذلك إلى الاقتصادات المنهارة في المنطقة، وسيطرة الديكتاتوريات الفاسدة والحروب الموزَّعة على منطقتنا هنا وهناك، إلى جانب التهديد بحربٍ أوسع تخُوم فوق رؤوسنا، أشارت أحلام، إحدى أفراد المجموعة، إلى ما يلي: تزداد صعوبة الإقرار بالحقائق التي نشهد عليها كلَّ يوم، والحفاظ على صمودنا، وأيضًا احتواء غضبنا والإبقاء على علاقة فعَّالة لنا مع الأنشطة بدل اعتماد موقف متقهقر. تزداد ضرورة تجمُّعنا بعضنا مع بعض، **أضاف هاشم، وهو أحد أعضاء المجموعة نفسها،** فنحن نخضع للكولونيالية المتفشية التي تنقضُّ علينا بمستحيلاتها.

ما يدفعنا إلى الأمام بالأساس هو انعدام الخيارات الأخرى، **قال مصطفى وعبد الله**. في الصومال، ثمَّة مساحاتٌ جماعية قليلة جدًّا، ولا توجد فرص للعمل الجمعي، ولا لتشارُك الأدوات والموارد. **في وسط غياب عامٍّ للنقابات الجادة والنشاط النقابي الحقيقي في جميع أنحاء المنطقة في العقود الأخيرة تساءلتُ إن كانت تجمُّعاتنا تعمل بصفتها بدائل للبِنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الحكومية -سواء برغبتها أم لا- في أعقاب فشل البِنى القائمة في حمايتنا، أو توفير أي نوع من الاستدامة لنا. هل يهدِّد غياب البِنى الحكومية وجودنا نفسه وحريةَ تفكيرنا وأبحاثنا ونشاطنا الاجتماعي والسياسي وفنِّنا؟**

دوائر متقاطعة (مرة أخرى)

لا نركِّز على تحسين المستقبل، إنَّما على العمل من منطلَق الاستحالة. يمكن لشخص يائس تحريك الجبال، لكنه لا يكون مدفوعًا بالأمل، إنَّما بالغضب والوحدة والجوع والبؤس الشديد والألم والرغبة أو حاجة لا تُطاق. **علي حسين العدوي، «هل من استقلالية في الجحيم؟» (٢٠٢٣)**

استضفنا بعد تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣ حلقات حداد، **قالت ندى ودعاء وسارة عندما تحدّثن عن الاستخدامات المختلفة لمساحتهنَّ المشتركة، التي يصوِّرنها كمساحة دعمٍ للنساء في القاهرة، ضمن أشياء أخرى. كنتُ قد لاحظتُ الظهور المتكرر لشكل الدائرة في محادثاتٍ أخرى. الدائرة الدالَّة على مساحة آمنة أو على المجموعة نفسها أو على العلاقة بين التجمُّع وبيئته:** ضم ناس أكثر إلى داخل الدائرة // دائرة أصغر ضمن دائرة أكبر // تقاطع دوائر ببعضها البعض. **لقد رسمتُ أشكالًا دائرية مختلفة كما تخيلتُها، رغم أنني لستُ رسامة هندسية:**

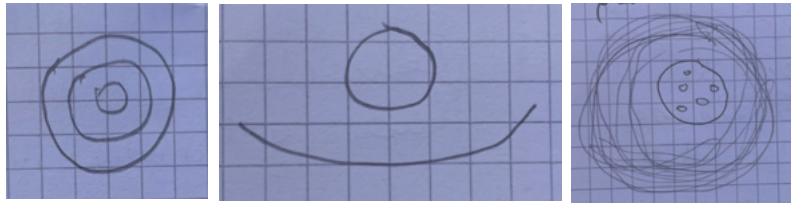

وقد لمحتُ هذا في الفترة نفسها تقريبًا فيما كنتُ أتمشَّى:

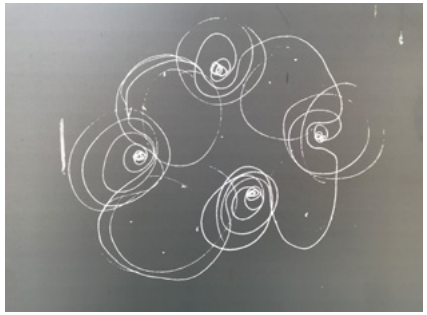

غرافيتي لمجهول [ربيع عام ٢٠٢٤، بولونيا]

بدا أنَّ الدوائر المتقاطعة تتلوْلَب ضمن بقعٍ مركزية أكثر كثافةً، وأنها ترسم دائرة أوسع تحوي كلَّ الدوائر الأخرى. وبيَّن الغرافيتي حركة داخلية وخارجية. ومعًا ركَّبتُ الأشكال المتقاطعة والمتلوْلبة عالمًا خاصًّا بها، un monde en devenir constant (عالمًا في صيرورةٍ دائمة) كما قال جيل دولوز.

الانغراس في المستنقع

بينما فكّرت في ما قيل لي بسريَّة خلال المحادثات، تساءلتُ إن لم يكن التلاقي يبادر، قبل كل شيء، بوضع أزمنة ضمن الزمن ومساحات ضمن المساحة، هي كبسولات داخل وخارج حياتنا اليومية تمكِّننا من التفكير والتلاقي، ومن الفعل رغم كل ما يجعلنا نشعر بقلَّة الحيلة وبحالة مستمرة من التأجيل. ونتساءل كثيرًا إن كنَّا نحن أو عملنا ذوي أي قيمة، قال هاشم وأحلام. في الأيام العصيبة عليك بغرس نفسك عميقًا جدًّا للاتقاء من العالم الخارجي وإلا فسينتهي المطاف بك بالانجراف. لذا فعليكَ بالعمل على ضمان زيادة تحكُّمك بالعوامل الخارجية التي تسيطر على حياتك وتجرف ثقتك بنفسك بعيدًا وتغرقك. على الرغم من الاعتراف بأنَّ المرحلة الحالية قد

تكون مرحلة هزيمة سياسية، علينا بالبحث عن طرق اقتصادية واجتماعية وخلّاقة معًا لمواجهة المستحيلات الموجودة أمامنا. أي عليك -نوعًا ما- تعليم نفسك كيفية الانغراس في المستنقعات.

كانت صورة الانغراس في المستنقع من أقوى الصور، وبقيت مطبوعةً في ذهني إلى جانب عدة أفكار محفِزة ومساعٍ مُلهمة سأحاول «ترجمتها» هنا على أفضل وجه.

دوائر من الصداقات

بدأنا كصديقات، أي مجموعة من الناس يسكنَّ معًا في منزلٍ مشترك، **قالت ريما وديما وغيداء.** لطالما كانت الألعاب جزءًا لا يتجزَّأ من حياتنا اليومية. كنا نتنكَّر بزي المهرِّج، ونخرج إلى الشارع، ونتفاعل مع المجتمعات من حولنا. **وقد ذُكِرَت الصداقة عدة مرات عندما سألتُ عن قصة بداية كلٍّ من المجموعات، الأمر الذي تردَّد صداه داخلي.**

بدأ كل شيء مع اللعب بعضنا مع بعض، **قالت ندى ودعاء وسارة.** حتى إننا حدَّدنا يومًا نجتمع فيه معًا ونلعب. **في سياق فنون الأداء خطر لي أنَّ كلمة «اللعب» [بالإنكليزية] قد تُستخدَم مترادفةً مع «القيام ببروفة»، أي تكرار الإيماءات أو الكلمات مرة بعد أخرى. وقد يمنح هذا مع مرور الوقت حسًّا بالسيطرة، حتى ولو للحظة عابرة. وقد يعني «اللعب» كذلك في سياقاتٍ أخرى «لعب دور ما» أو حتى «لعب الأدوار»، أي التحرُّر من قيود الهوية و/أو التقييدات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وقد اعتقدتُ أنَّ مجموعات أجساد مختلفة «آخذة باللعب معًا» قد يكون أمرًا غير متوقَّع، حتى ولو للحظة عابرة. حاولتُ تصوُّر ما الذي قد يحصل لو تضاعفت مجموعات اللعب الصغيرة هده...**

في أثناء إجراء المحادثات طُرحت كثيرًا فكرة أنه عندما تكون الصداقة وراء تجمُّع مجموعة من الناس قد تتسبَّب في عرقلة التناغم الجماعي. ومن الأصعب إدارة المجال العاطفي عندما تفقد الحدود بين الخاص والجماعي معالمها، فينتهي الأمر بالأفراد في ظروفٍ معقَّدة بل حتى فوضوية. لكن قيل كذلك إن كلَّ مجموعة من الأصدقاء في حاجة إلى تحديد هدفٍ ما وإلَّا فستنهار. الانتماء إلى مجموعة من الناس تتمتع بهدفٍ مشتركٍ هي إحدى طرق الحفاظ على الصداقة إذًا. سواء كانت الصداقة تسمح بحدوث الأشياء أو تعقّدها، **سواء** كنَّا نعمل معًا لأننا نرغب بتطوير صداقة بيننا، أو أننا أصبحنا أصدقاء لأننا نرغب بالعمل معًا؛ **فإن الصداقة قوة دافعة علينا أخذها بالحسبان.**

لقاءات عشوائية

لكن ماذا عن المجموعات التي تتألَّف من أشخاصٍ لا يعرف بعضهمنَّ البعض، ولا علمَ مسبق لهمنَّ بتشارُك نفس الاهتمامات، أو البحث عن أشياء متشابهة؟ لقد انسجمنا بسرعة. **سمعت هذا التعبير عدة مرات.** يعجبني كثيرًا «المكان» الذي التقينا فيه، **قالت لبنى وشادية. وأضافت لبنى بوصفِها للحدث الذي جرى الاجتماع فيه:** دائمًا ما يكون الحدث أكبر من الحدث نفسه. لعلَّنا تقرَّبنا بعضنا من بعض بفضل الغضب والحزن الذي نشعر به، ولعلنا تقاربنا بفضل الفرح كذلك. **وأضافت شادية** أنهن كنَّ - وفدن من الهند، ويقمنَ في الإمارات العربية المتحدة- يبحثن عن التَّلاقي بأشخاصٍ يتشاركون أصلًا معيَّنًا، الأمر الذي يشير إلى خاصيَّات تقع خارج إطار البِنى والديناميكيات العائلية. لقد اكتشفنا طرقًا متشابهة للتفاوض مع علاقتنا ومع هوياتنا. **وقد خلصت لبنى إلى أنَّ** هذا على الأرجح هو «المكان» الذي بدأت منه المحادثة بيننا، ومن ثمَّ تفرَّعت إلى شيء أكبر.

وقد شعرتُ حالًا بالتواصل مع ذلك الإحساس بالارتياح بعثور الناس بعضها على بعض. ولاحظت إحداهنَّ في لحظة ما أن الأخرى كانت تبدو شاردة الذهن. ما الذي يدور في فكرك؟ **تسألها برقة. وقد خطر لي أنَّ هاتين المرأتين كانتا غريبتين بامتيازٍ قبل بضعة أشهر فقط. والآن لديهما القدرة على** قراءة **إحداهما الأخرى من وراء الشاشة. ذكَّرني ذلك بما كتبتْه أودري لورد عن كونها جزءًا من أوساط النساء المثليَّات السُّود في الولايات المتحدة، يحاربن النظام الأبوي ضمن أمورٍ أخرى، فهل تنطبق كذلك على أوساطٍ أخرى؟**

[...] لديَّ شعور ومعرفة وفهم خاصٌّ لأولئك الأخوات اللاتي رقصتُ معهنَّ بلا توقُّف، أو لعبتُ معهنَّ أو حاربتُ إلى جانبهنَّ. كثيرًا ما كانت هذه المشاركة العميقة سابقةً لأفعالٍ مُنسَّقة مُشتَرَكة، لم تكن ممكنة من قبل. **أودري لورد، «استخدام الإيروتيكية»** (١٩٧٨) [بالإنكليزية]

لقد تجمَّعنا لكي نحافظ على استقلاليَّتنا

بدأتُ بإدراك حقيقة مهمة عن المجموعات المختلفة: قد تعمل كل مجموعة الآن بصفتها وحدة واحدة، لكنَّ كلَّ مجموعة بدأت بكينونات موجودة مسبقًا، بأفراد كانوا وكنَّ جزءًا من مجموعات أخرى، مجموعات واجهتها تجارب جماعية فاشلة وراكمتْها. ويبحث الأفراد وهذه المجموعات عن طرقٍ جديدة ومُعدَّلة لكي تكون شغَّالة ومُستدامَة، أو عن طرقٍ ليكونوا برفقة بعضهمنَّ البعض في مساحاتٍ تحوي الشعور بالأمان والتحدي في الوقت نفسه.

لم نشعر بالأمان في عملنا مع المؤسسات وفيها، **أقرَّت لبنى وشادية، ولم تكونا الوحيدتين في ذكر هذا الموضوع**. نحن مجموعة من الأصدقاء الراديكاليين كما نميل إلى تسمية أنفسنا، **قال عمَّار ونور وعلي**. لقد تجمَّعنا في وجه مؤسسات الفن التي تحرس وتراقب ما يدخل ويخرج منها. ورغبنا بالتعبير عن رأينا عمَّن يقرِّر ما هو الفن، وما هو غير الفن، وبالأخص عمَّا هو الفن وعمَّا هو ليس بالفنِّ. كنا نتنظّم للاستحواذ على أعمالنا من جديد، وبالتالي على سرديَّتنا الخاصة. التجمُّع عبارة عن نظام دعمٍ، **قال صادق وبشاير**. لقد تجمَّعنا لكي نحافظ على استقلاليتنا.

فكرت كيف أننا معًا وبتضامُن بعضنا مع بعض يمكننا التفاوُض بخصوص علاقاتنا العاصفة بالبنى المُسيطرة. أليسَ ذلك ما عناهُ علي العدوي عندما كتب هذا؟

الاستقلالية الفنية عبارة عن نضالٍ، تفاوُضٍ مادي ولامادي يتعذَّر فصله وممارسة عمالة فنية مُمأسَسة في سبيل الحصول على الخاصيَّة والجماعية المتنظَّمة ذاتيًّا وشعور بالوكالة السياسية. **علي حسين العدوي، «هل من استقلالية في الجحيم؟»**

تشكيل الأدوات والموارد والمراجع

التجمُّع لا يتمحور حول الناس، إنما حول الاهتمامات المُشترَكة **وفق بشاير وصادق. بدا لي ذلك -وسط النضالات القائمة لتلبية الاحتياجات أو حتى إنجاز المهام- كمنظورٍ للجماعيَّة بصفتها مجموعة أدواتٍ وموارد يوجد فيها كلٌّ من الدعم المادي والمعنوي**. تهدف هذه المجموعة إلى تشارُك الموارد **قالت يارا وزاهر وماري إيليز والمجموعة**، وجزء من الموارد المعنية عبارة عن الدعم المعنوي. وهي كذلك معنية بمشاركة المعرفة، **قالت سارة ودعاء وندى**. نتشارك معرفتنا بعضنا مع بعض ومع غيرنا. ونسمِّي ذلك زكاة المعلومات.

يشجعك التجمُّع وسط غياب مَراجِع واضحة على البحث عن شذرات من تجارب تبدأ تدريجيًّا بتشكيل لوحة مَراجع خاصّة بك. وعلى الرغم من أن غالبيتنا نعرِّف تجاربنا مع مُضي الوقت إلا أن التجربة الجماعية قادرة على التمتُّع بقوة دافعة خاصة تكمن أحيانًا في سيرورة البحث نفسه. قال

علي وندى في حالتنا إن نقطة توجيه المجموعة كانت مشروعَ بحثٍ يجريه فرد واحد من المجموعة. بينما كمَن دور الأفراد الآخرين في التفاعل مع البحث وطرح مجموعة أدوات لبلوَرة وتجسيد البحث.

مشاهد مُمَوقعة – أدوات للغد، القاهرة؛ مشاهد مموقعة – مع بعضنا البعض، لشبونة؛ مشاهد مُموقعة - «غد البارحة»، أزوريس. من: علي طلعت وغوستافو سيرياكو وندى هاشم وإبراهيم بهاء، «مشاهد مُموقعة»... «أدوات وحكايات وتحوُّل» (تقرير سردي لبرنامج «مفردات» «مصلحة مشتركة»، ٢٠٢٤). تصوير: ماريانا لوبيز وعلي طلعت وعلي سليمان.

قصة المكنسة الراقصة متعددة الرؤوس

لقد عملنا على تطوير مجموعة من الأدوات، **وضَّح علي وندى. وعليه خُلق غرضٌ جسديٌّ له خصوصية وفرادته، ويمكن تسميته بالمكنسة الراقصة متعددة الرؤوس. ويدلُّ الغرض على ديناميكيات المجموعة** (لقد اعتمدنا شعارًا بسيطًا: الضم > التوحيد > الموازَنة، **قالا) بسبب شكله، ولكن كذلك للحركة التي يولِّدها، التي تظهر بأنها شدٌّ وإرخاءٌ**: حركة بتشد وبترتخي. وجسَّدت المكنسة متعددة الرؤوس الحاجة القائمة إلى تحديد عدد الأصوات في المجموعة، والبحث عن صوتٍ موحَّد مقبول لجميعنا، **قال علي وندى.**

قصة السَّلَطة المفكَّكة

مشروع السَّلطة المفكَّكة كان تجربة أخرى مبنية على البحث الذي أجراه أحد أفراد مجموعة ما. بادر المشروع -الذي جرى وسط المطبخ الجماعي في القاهرة- إلى إجراء تفكيكٍ تاريخي وجغرافي مبني على دراسة التأثيرات الاجتماعية السياسية في هجرة المحاصيل. كما أن المشروع جعل المجموعة تطرح أسئلة عن الشُّح والوفرة؛ وقد وسَّعت الصعوبات الاقتصادية الراهنة في مصر بسبب الأزمة الاقتصادية –النقص في الشاي والسكر مثلًا– نطاق المشروع بما يتعدَّى الجانب المطبخي فيه.

ولم يكن المشروع عن التغذية فحسب، إنما كذلك عن التذوُّق، الأمر الذي عنى أنَّ المشروع سعى إلى تناول فردانيَّاتنا، وكيف نتعامل معها. وخسرت

نسخة السَّلطة الخالية من الثُّوم الانتخابات. أحيانًا تسير الأمور على ذلك المنوال وعليك قبولها ببساطة. **أصبح المطبخ مساحة تمكِّن من تناول جميع تلك التفاوضات** بخصوص التاريخ والاقتصاد والتغذية والذوق.

لنتحدث عن الحوار

ثمة أشخاص، لا يمكنني فهم أي شيء يقولونه. حتى عندما ينطقون بأمر بسيط، حتى ولو قالوا: أعطني المملحة. حتى حينها أبقى متسائلًا، ما الذي يقولونه؟ **جيل دولوز (في «المبتدئ، واو من الوُلاء»)**

رغم بديهية ما يلي، إنَّ التجمُّع معًا يتطلَّب تحاور بعضنا مع بعض. بالنسبة إلى عدَّة مجموعات، اقتطعت النقاشات والتقارير وتجميع الشهادات كثيرًا من الوقت المشترك. بالنسبة إلى البعض فقد كان من الجوهري تعريف الأدوار خلال الاجتماعات، والتوصُّل إلى نتائج ملموسة بعد كلِّ محادثة. بينما أبدى البعض الآخر مرونة أكبر. رغم استمرارية كثيرٍ من الأفكار بين الاجتماع والآخر فإنَّ البعض منَّا كان يشعر بالضياع في الطريق، **قالت ندى من إحدى المجموعات وأحلام من مجموعة أخرى.** ولذا فعلينا بالتنازل عن تلك الأفكار إلى حين معاودة ظهورها.

قد يكون الانتقال ما بين اجتماعات المجموعة والاجتماعات الفردية منهجًا ناجعًا في التعامل مع مختلف الإيقاعات وسوء الفهم الذي قد يبطئ من المحادثة، **قال بيشوي ومهدي. لا يشعر الجميع بنفس الراحة مع الحميمية التي تتطلَّبها المحادثات، لكنَّ رنا ونور ومريم وآيمي** أشرنَ إلى أنه يمكن القيام بالحوار كذلك عبر إبداء حضورٍ فعَّال، حتى بمجرد تفعيل الإصغاء والمشاهدة.

عبور الشاشة

للعمل معًا علينا الوجود في محضر بعضنا البعض. نحن نعمل بصورة فعَّالة معًا، **شاركني مهدي وبيشوي**، رغم أن بعض أعضاء المجموعة لم يلتقوا قَطُّ وجهًا لوجه. تشكَّلت مساحتنا في العالم الرقمي: مجموعات الواتساب واجتماعات الزووم و«غوغل شيتس» وغيرها، فسَّرا لي. منذ حلول الجائحة لم نعد نرى في ذلك قيدًا، إنما طريقة لتحدي جغرافيَّاتنا المتضخِّمة. عندما استخدمنا «غوغل شيتس» بصفتها لوحة كانفاس لأفكارنا، شاهدنا سيرورة تفكيرنا وتطوُّره على الورق مباشرةً، وأضافا لقد أدركنا أنه رغم أننا نأمل التمكُّن من الوجود معًا جسديًّا إلا أننا في الواقع غير محتاجين إلى ذلك. **وأنا نفسي أؤكِّد ذلك بصفتي جزءًا من تجمُّع تعلَّم العمل رغم عمله ضمن علاقة عن بُعد!**

عن المُساكَنة

للمجموعات التي سبق وساكن أفرادها بعضهمنَّ البعض فقد حدَّد تشارُك المنازل المشتركة أو المساحات الجماعية الديناميكية. وقد ذُكر «مَنشِن» عدة مرات ضمن الحديث مع المقيمات-ين والعاملات-ين في بيروت، هي مساحة استضافت مجموعات مختلفة على مدى سنين، وكذلك شهدت على عدة تحوُّلات اختبرتها بيروت.

في مدن مثل القاهرة أو هرجيسا كثيرًا ما كان على المجموعات العمل ضمن مساحات أصغر أو ربما محدودة أكثر. وقد مرَّ وقتٌ طويلٌ قبل أن تتمكَّن المجموعات من إيجاد المساحات وتدويرها وتكييفها لتلبية الحاجات والرغبات. وقد اختيرت المساحات لقدرتها على دمج الحميمية، وسهولة الوصول إليها والوجود فيها بتوازنٍ ما. وكانت المساحات المذكورة مغلقة أحيانًا ومفتوحة أحيانًا أخرى. كان استوديو الحركة الذي

استخدمناه موجودًا في مبنى سكني، وكان عبارة عن نوع من المساحة السرية، ولا توجد أيُّ إشارة تدل على وجودها، **قالت ندى ودعاء وسارة**. حتى عندما تعلَّقنا بفكرة المساحة كنا نعلم أننا لن نتمكَّن من التطوُّر فيها هناك، وذلك بسبب طبيعة المساحة كذلك.

بالنسبة إلينا فإنَّ الاستوديو في هرجيسا كان حلمًا قد تحقَّق، **قال مصطفى وعبد الله**. وبينما كانت المساحة مدرسة للأطفال في السابق، فقد تحوَّلت إلى مكانٍ للعمل الفردي والجماعي. لا ينطوي شغل المساحة المشتركة على تقاطعٍ في الأوقات، بل كذلك تبادل الأدوات والمعتلكات والممارسات والاهتمامات. إنَّ المساحة المشتركة هي ترامبولين خلَّاقة، **أضاف عبد الله**، فتوسِّع حدود الإبداع وتحفِّزك على تحدّي ممارستك الفردية، وهذا ما حصل لي منذ خلق استوديو العمل.

لقد لاحظتُ كلمتين رئيسيَّتين في الحديث عن مختلف المساحات التي تقطنها المجموعات: المساميَّة وقابلية التوسُّع. وبدا لي أن ما نبحث عنه جميعًا في المساحات، سواء وجدناها أم لا، هو ذلك الخليط من الشعور بالأمان والانفتاح. أو كما قالت إحداهن: مساحات تتضمَّن شبه خصوصية.

بعيدًا عن المدينة

أردنا أن نبقى بعيدًا عن بيروت. فقد أصبحت الأمور أصعب وأصعب هناك، **قالت يارا وزاهر وماري إيليز والمجموعة**. لقد أردنا خلق شبكات اجتماعية وثقافية في القرى والبلدات الصغيرة التي وُلدنا فيها و/أو القرى والبلدات الصغيرة التي اخترنا العيش فيها، فسَّرت يارا. ومن ثَمَّ بدأنا بدعوة بعضنا لبعض إلى قرى وبلدات كلٍّ منا، **أضافت ماري إيليز**، فتعلَّمنا كثيرًا عن الديناميكيات المؤثِّرة في المجتمعات المختلفة. وهكذا وُلدَت فكرة «شبكة الشبكات».

لقد ألهمتني احتمالية كون الأشياء جماعية، وتطبِّق اللامركزية في الوقت نفسه. وهو ما ذكرته أحلام عندما تحدثت عن لحظة مغادرة مجموعتها «مَنشِن». وبُعث المهرجان الذي نظَّمته المجموعة إلى مساحات مجتمعية خارج العاصمة. كنا نتنقَّل معًا فنشارك عملنا، ونكتشف مختلف المساحات المحتمَلة للتجمُّع، ونتشارك الأوقات مع بعضنا البعض، وتباعًا مع الناس المرتبطة بالمساحات الموجودة تلك. بالنسبة إلينا كان هذا جزءًا من بناء شبكة أكبر، **قالت**.

إنَّ وظيفة الشبكة **كما يطرحها دولوز (في «المبتدئ، واو من الوَلاء») هي المقاومة والخلق. بوصفه للشبكات بصفتها** علاقاتٍ غير ملحوظة مع ناس غير ملحوظة **ادَّعى أنَّها تتطوَّر** في مساحات غير ملحوظة، **وهو ما لاقيتُ صداه في ما قالته ماري إيليز...**

مثل الفطر في غابة

بلادنا مقطَّعة أوصالها، بدنا نرجع نحيِّكها مع بعضها. نحن نفعل ذلك بدعوة الناس إلى الانخراط في العمل المجتمعي، **فسَّرت ماري إيليز. فسألت المجموعة** ألا تتواجهن مع البنى المهيمنة التي أسَّسها أمراء الحرب بفعلكنَّ كلَّ ذلك؟ **فأجبنَ** حسنًا، نحن نتقبَّل أننا غير قادراتٍ على الانتصار عليهم فيما يفعلونه. لكن علينا تعليم أنفسنا كيف نغلبهم بالذكاء، واستدراجهم ليدَعونا نفعل ما نريد. بمعنى ما فإننا شركاء في الجريمة.

بوصف نفسها «شبكة تشبيك» تصرُّ المجموعة على أهمية فتح المساحات للنقاش واحتواء المجتمعات الموجودة في الأماكن المعتَمدة أو التي اختارت المجموعة العودة إليها في مشاريعها البيئية والفنية. هل نحن حقًّا نواة التغيير في المستقبل؟ سأل زاهر. **وكانت المجموعة قد التقت مؤخرًا مع شبكات أخرى بصفتها جزءًا من نشاطٍ ضخمٍ نظَّمته المجموعة**

في مدينة طرابلس. وخطر لي أننا عندما نجد أشخاصًا يتكلّمون نفس اللغة يمكننا الشعور بالارتياح العارم، أو بفرح يشابه الأمل، بينما نترك أنفسنا نُخدَع مرة أخرى، على الرغم من وعينا الكامل بالتبعات. كان الحماس الذي شاركتني المجموعة به معديًا لصدقه. أحب أن أرانا كفطرٍ في الغابة، استنتجت ماري إيليز، فيمكننا النمو في أي مكان، من دون أن يفطن لنا أحد. وفي الواقع نحن نربط الأشجار بعضها ببعض. ونؤمن أن هذه الطريقة هي الوحيدة التي تمكّن من التغيير، من خلال هذه الحركات غير الملحوظة وشبه المخفيَّة، وبالتالي يصعب التحكُّم بها.

النزعة إلى المثاليّات والتشكيك والرومانسيّات والتوجّه العملي وكل ما بين ذلك

أنا ما بقيتش دماغ واحدة، **قال بيشوي مفسِّرًا كيف أنه بعد العمل بصورة جماعية لم يعد قادرًا على العمل وحده. لكن تراءى لي أنَّ «وجود عدة أدمغة كبيرة» له مخاطره كذلك، فقد يؤدي إلى عطب عصبي، وإلى توافقات وخلافات غير متوقعة!** أنا الشَّكّيك في المجموعة، **قال مهدي.** قد يميل الآخرون إلى الرومانسية أكثر. لكن مع الوقت نتعلَّم مسايرة عيوبنا بدل تعارُك بعضنا مع بعض باستمرار. **كيف يمكن لكلِّ شخصياتنا التوصُّل إلى نوع من التوازن والوحدة نظرًا إلى ميل بعضنا إلى المثالية الشديدة، أو إلى الشك، فيما يميل البعض الآخر إلى تحقيق الكمال، وبينما يزدهر البعض في الفوضى؟**

في المطبخ نوعان من الطُّهاة: النوع الذي يطبخ نفس الوجبة على أتم وجه كلَّ مرة، وذلك الذي يفضِّل التجريب، **قالت رنا والمجموعة. كيف يتمكَّن هؤلاء الطهاة من تركيب وجبة معًا إذن؟ لعله بتحديد أدوار كلٍّ منهمنَّ بصورة واضحة؟** أنا قادرة على تنفيذ عدة مهام في الوقت نفسه،

وأستصعب تفويض المهام للغير، ولذا أنزع إلى تولّي الكثير منها، قالت ندى، ومن ثَمَّ أنهار. **لا يسهل دومًا فَهم التناقضات التي تواجه مجموعةً ما، ولا سيَّما تلك التي يواجهها الفرد في المجموعة.** أستصعب أحيانًا الأخذ بزمام المبادرة خوفًا من لعب دور قياديٍّ، **أقرَّت ديما. وقال مصطفى من مجموعة أخرى في حديثه عن هذه المشكلة:** لقد تقبَّلنا فكرة أن «قائدة-دَ» المجموعة هي تلك التي تتمتَّع بأكبر قدرٍ من الوقت، وعلى استعداد لإعطائه للتجمُّع.

من جهة أخرى فإنَّ بعضنا يتمتَّع بامتيازٍ أكبر من الغير لأننا لا نعمل في وظائف بدوامٍ كامل، **قالت لبنى وشادية.** لهذا لم تتمكَّن العضوة الثالثة في مجموعتنا من الحضور اليوم. لكن حين تؤثِّر العوامل الحياتيَّة في المجموعة فإن تعامُلنا مع الظروف التي تفصل بعضنا عن بعض هو ما يقرِّبنا من بعضنا البعض في النهاية، **استنتجتا.** ومن المفيد التذكُّر أننا عندما نصل إلى طريقٍ مسدود فإن الأمور الصغيرة والملموسة قد تكفي في المساعدة على الاستمرار، أمور ببساطة نشر پوست على إنستغرام مثلًا.

كيف نحافظ على الانسياب ونحتوي التشقُّقات ونقاوم الأمواج وتعاقب آثارها وننفصل (إن اضطررنا)

بوحي من العناوين الـ٢٥ المتضمنة في «أجندية لاقتراحات تعاونية» **طرحتها جنيفر إيڤانز ونشرتها «مفردات»** في «مصلحة مشتركة: نصائح وألاعيب للعمل المشترَك» **قررتُ تجميع عدد من الأفعال المباشرة التي ذُكرَت هنا وهناك في سياق الحديث، وأحيانًا ضمن أكثر من مجموعة واحدة، لعلها تُضاف إلى «النصائح» المُدرجة في الكتيِّب بخصوص تحسين العمل المشترَك:**

- نحن نساير عيوبنا (نصيحتي المفضَّلة!).
- نلعب معًا لتخفيف التوترات.
- عند الحاجة نسعى إلى الرجوع إلى جهة خارجية أو وسيطة.
- نخلق مساحاتٍ لعناية بعضنا ببعض خارج مساحات العمل.
- نبدِّل تولِّي المهام في ما بيننا فنتولَّى تارةً المهام الفنية، وتارة الإدارية، وتارة مهام التواصل الداخلي.
- نسدّ مكان بعضنا البعض عند الحاجة.
- نتأكد من قضاء بعض الوقت في اطمئنان بعضنا على بعض، والتوفيق ما بين نوايانا وأهدافنا.
- نتعلَّم كيف نتقبَّل البطء، وقلة النجاعة.
- نتقبَّل فكرة أننا لسنا في حاجة إلى الإجابة عن جميع الأسئلة المطروحة.
- نتقبَّل أننا لا نتحكَّم بالمنتوج النهائي ونطلق سراحه.
- نحاول على قدر الإمكان تحديد ما لا نريده.
- نتعلَّم تقبُّل أننا في كثيرٍ من الأحيان وبكلِّ بساطة نكتشف خُطى الطريق بينما نسير فيه.
- أوقات، كل شيء بيركّب مع بعضه وبيمشي...

أحيانًا تتضح كلُّ الأمور بكلِّ بساطة

... وهذه قوة أشبه بالسحر، **قال رامي وديما وغيداء. وفي لحظة، عند الحديث عن الصعاب النفسية والعاطفية التي قد يثيرها العمل الجماعي،** تذكرت إحداهمنَّ مرة كيف تنكَّر أحدهم بلباس المهرّج عودةً إلى الشوارع.

فانشرحت الوجوه في وصفها للمتعة البسيطة الكامنة في التفاعل العفوي مع الناس، وهو ما جمعهمنّ في البداية أصلًا. وكان الاستنتاج الجماعي أن تلك اللحظة أعادت كل شيء إلى مكانه. **وقالت غيداء في النهاية** بالنسبة إليَّ عليَّ بالاستمرار، رغم كل ما قد تبدو عليه الأمور من صعوبة أحيانًا.

يتضمَّن بناء التجمُّعات استدعاء «الروح الجماعية»، أي محاولة إيجاد المعادلة السحرية التي تُيسِّر مجرى العمل، **قال هاشم**. وسواء كان التجمُّع فعَّالًا أم لا، فمن المهم أن نقرر التوقُّف عن مساءلة فكرة وجودنا معًا كلما واجهتنا الصِّعاب. فنحن عندما نكون قد جرَّبنا شيئًا ما، حتى ولو مرة واحدة فقط، **أضاف**، نعلم أنَّه يمكننا الطموح إليه مرة أخرى.

أرشفة السيرورات ومعالجة الأراشيف

في أعقاب مراحل عمل مطوَّلة قد يكون الوقت قد حان إلى بعض التأمُّل الذاتي. وقد وجد البعض أن استخدام أوقات كتلك لخلق وترتيب أرشيف للتجمُّع ربما تكون طريقة جيِّدة لفهم التجربة. قرَّرنا إجراء مقابلات مع أعضاء المجموعة للسؤال عن تجاربنا السابقة بعضنا مع بعض، **فسَّر رامي وديما وغيداء.** هذا الأرشيف هو نوع من الرسالة المحفوظة في زجاجة تطرح في البحر لاستخدام التجمُّعات أو الباحثات-ين مستقبلًا. **وأضاف رامي أنه** من ضمن الأسئلة التي قد تُطرح في سيرورة التأمُّل الذاتي ثمة السؤال التالي: هل نبحث عن الانضمام إلى تجمُّع مبني على تحقيق مشروع، أم أننا نرغب في تأسيس بنية دائمة أكثر؟ بالنسبة إلى مجموعاتنا رأينا في البنية الجامدة أمرًا غير بديهي، **واقترحَ** أن لعلّ ما تحتاج إليه المجموعة هو «الوضوح» بدل «الهَيكلة».

هذا التجمُّع يقود إلى ذاك

قال عمَّار ونور وعلي إننا نعمل على بناء التحالفات. **وقالت يارا وماري إيليز وزاهر والمجموعة** إن ذلك لا يقدِّم وجهات نظر جديدة فحسب، إنما كذلك يفتح أوساطنا على أوساط أخرى في دول المنطقة. نحن نشجِّع بصورة فعَّالة أعضاء المجموعة على الانتساب إلى مجموعات مختلفة في نفس الوقت. **وأضفنَ أنه** يمكن خلق الصلة مع الغير عبر الأفراد في المجموعة، أو عبر طبيعة المساحات التي نستحوذ عليها، القادرة على استضافة شبكة التحالفات التي تكبر باستمرار. وإننا قد نتمكَّن في المستقبل من التخطيط لخلق قاعدة بيانات تتضمَّن تفاصيل حلفائنا ومواردنا بما في ذلك المنظمات التي تعمل في نفس المجالات. **وقال هاشم وأحلام** إننا، وبصفتنا تعاونية، قد نقترح خلق صندوق تمويل جماعي قادر على احتواء مجموعات أخرى تعمل بصفتها تعاونيات.

بدت هذه المبادرات، الهادفة إلى توسيع الشبكات والوسائل، وثيقة الصلة بعضها ببعض، وتساءلتُ إن كانت أيٌّ من هذه المجموعات ستتقاطع طرقها بمجموعاتٍ أخرى. وتذكَّرتُ الغرافيتي الذي رأيته في منتزهٍ في بولونيا، أي شكل الدوائرِ المتضافرة، وفكرت أنه لن يخفِّف من تعقيد علاقتنا مع الزمن الحاضر سوى مراكمة الوقت والأحاديث والتجارب.

خلاصة: هكذا نعمل معًا

تنبع الأفكار من شخصٍ ما، وتُنقَل إلى الغير، فإما تُعتَمد وإما لا، **قال هاشم، وأضاف مازحًا**، إلا في حال تفعيل القدرة على التّخاطُر! **أما زاهر فقال** إن معظم المبادرات تنبع من الأفراد، وعلينا ألا نضحك على أنفسنا بالتفكير بخلاف ذلك. **وعندما سُئلت المجموعة عن تعريفها لذاتها قالت**: لا يمكننا القول إننا أفراد لكن لا يمكن القول إننا مجموعة كذلك. نحن الأمران

معًا في نفس الوقت، **وافترضتُ أن المجموعة تعني أن عليها اللعب ضمن هذه الثنائية كلَّ الوقت.**

وتساءلتُ أَوَليسَ الأمر شبيهًا لجميعنا؟ نحن نلتقي ونحكي ونتابع أخبار أعمال بعضنا البعض، ونتماثل معها ونتساكَن ونُدعى إلى مساحات بعضنا البعض... الأمر بطيء ومتعب، لكننا ننسج أمرًا ما. **قد يقول البعض إنها** شبكات من التضامن. **وقد يقول البعض الآخر إننا** في طور تنشيط تفاعل متسلسل. أو عدوى الأنظمة بعضها لبعض، **سعيًا إلى خلق تعطيلات أو التحريض على اختلالات صغيرة شبه خفية في النظام الأكبر. شيئًا فشيئًا وبخُطى ثابته** تندمج السيرورات **والإيماءات والأجهزة** ضمن بعضها البعض.

لقد اقتنعتُ بأن الأمر لا يتعلَّق بما نفعله معًا إنما بكيفية فعله، وهو أهم ما في الأمر. يساهم الشكل في صناعة المحتوى، بل قد يطغى عليه. حتى الآن هذا ما يمكنني استنتاجه من تجربتي الجماعية، ومن هذه المحادثات الجماعية.

المراجع

Audre Lorde, *Uses of the Erotic in the Selected Works of Audre Lorde*, W. W. Norton & Company, New York, 2020.

Ali Hussein Al Adawy, *Is There Autonomy in Hell? Purity is a Matter of an Effective Sewage System: Human Rights and Contemporary Art from Institution to Infrastructure.* An essay publication developed from an MA thesis at the Center for Human Rights & the Arts at Bard College, New York, 2023.

The Abécédaire of Gilles Deleuze, televised interviews with Deleuze conducted by Claire Parnet and produced by Pierre-André Boutang, 1988–1989 (aired on Arte 1994–95).

عن الكاتبة

كارين ضومط مونتير وكاتبة مقيمة في بيروت، وتعاونت على عدّة مشاريع في مجال الأفلام والتركيب الفني والأداء والمطبوعات.